(١١)

الإنسان وابن الإنسان
آدم وابن آدم
عبد الله وابن عبد الله

حديث الجمعة

٢٢ ربيع الأول ١٣٨٠ هـ - ١٣ سبتمبر ١٩٦٠ م

سلام الله علينا وعلى عباد الله الصالحين، الحمد لله المعروف بحقه، والمعروف بخلته، والمعروف بوجوده، وأشهد أن لا إله إلا الله، لا شريك له، غني عن المعين، وغني عن الوزير، وغني عما يتخيله الخلق فيه، والصلاة والسلام على رسول الله، حقيقة ثابتة دائمة، وصفة في الكون قائمة.

عباد الله: هل هناك خير من تقوى الله؟ وهل هناك رب أرعى من الله؟ وهل هناك معين أقوى من الله؟ وهل هناك ملبٍ أسرع من الله؟ وهل هناك محكم أحكم من الله؟

عباد الله: إذا كنتم آمنتم بالله، فاتقوه وآمنوا برسوله، وارعوا إيمانكم في أنفسكم حق الرعاية حتى يؤتكم الله كفلين من رحمته، من دنيا قيامكم، ومن دنيا مآلكم، ومن دنيا إيابكم، ومن دنيا أنفسكم، ومن دنيا باطلكم، وفي دنيا حقكم.

إن الظاهر من وجودكم، والظاهر من تدبيركم، والظاهر من اجتماعكم، والظاهر من جماعتكم، والظاهر من نظمكم، إنما هو مرآة الباطن من أمركم على مثال له وعلى ارتباط به. وإن ما هو ظاهر من قديم لكم عنه برز، ليشف وينم عن مستقبل، لا يخرج في رباطه عن معاني القديم من حيث نسبته إلى ظاهركم أمرا مجهولا عندكم. فأنتم في ظاهر أمركم تجهلون أمر قديمكم كما تجهلون أمر مستقبلكم، وقد كنتم كذلك يوم كنتم في قديمكم. لقد كنتم في جهل عن الأقدم منه كما كنتم في جهل عن مستقبل لكم هو اليوم حاضركم.

وإنكم عما قريب لمغادرون هذه الدار- وإذا قلنا دارا فإنما هي دار حقيقة- وإن الإنسان إذا كان في هذه الدنيا وفي هذه الحياة يتنقل من دار إلى دار تسمى برقم وعنوان وطريق وحي وبلد، إنه كذلك

إن غادر هذه الأرض، أو إن غادر هذه الدنيا -كما يسميها من معاني الدنو - إلى إدراكه بمعاني الحياة مدركة عنده اليوم، فإنه مغادر إلى دار أخرى على مثال مما هو فيه، قسطه منها على قدر ما تهيأ له، واكتنز هو من حاضره. وإنه آخذ متزود من هذه الدار لتلك الدار بعقائده ومعنوياته وإدراكه، كما يتزود الطالب في مدرسته في ثقافته النظرية، وثقافته التدريبية أو العملية، وفي مسلكه المرعي من الجانب الخلقي في دار تأهيله. وإنه إذا خرج إلى الحياة أو ما نسميه الحياة من حياة العمل، وهو ما خرج في الحقيقة إلى الحياة، ولكنه انتقل من مدرسة صغيرة إلى مدرسة كبيرة، وإنه مغادر هذه المدرسة على كبرها - وهي صغيرة ضئيلة في حقيقة أمرها - على مثال مما سبق له من دار تحصيله التي خرج منها إلى دار العمل متصورا أنه في الحياة.. وهو ما انتقل إلا من فصل إلى فصل، أو من مستوى دراسي إلى مستوى دراسي آخر.

هكذا يواصل الإنسان طريقه في ركب الحياة، وإن الإنسان في ذلك لهو على دين من أحب، وإن تجمعات الناس على ما يستهويهم من معنويات لإدراكهم في أنفسهم، وفي آمالهم، وفي حاضرهم، إنما يتجمعون على معنى يحملونه، وتحت علم يرفعونه، في ركب الحياة.. فهم إما تحت لواء أحمر، وإما تحت لواء أبيض، وإما تحت لواء أسود، وإما أناس يسيرون على غير هدى في دروب الحياة، وفي دروب الكون، لا هادي لهم، ولا رائد أمامهم، ولا عقيدة لهم، ولا اجتماع على قديم في الحق جمعهم، أو جديد للحق خلقهم.

وإن الذين يتجمعون تحت علم ما أيا كان لونه، إنما يسيرون في الحياة، ويقطعون دربا من دروبها.. وإن العلم الأبيض أو العلم الأسود أو الأحمر، ما دل إلا على معلوم من حقيقة، أو مدرك من صفة، أو استقامة من فعل، على مراد من حكمة الله.. وإن الله وهو المطلوب، وإن الله وهو ما يجب أن يكون مطلوبا، وإن الله وهو ما يقبل أن يكون مطلوبا، متجرد عن معالم هذه الأعلام، سوداء أو حمراء أو بيضاء كانت.. فإن هذه الألوان ما هي إلا صفات الخلائق.. وإن الحق تعالى عن وصف الخلق، وإن ظهر بأوصافه في اتصاف بمعاني قيامهم، إعلاما لهم عما يجب أن يكون معلوما لهم، عنه في أنفسهم.

إن كتاب الله يرسله الله لعباده ليس ورقا، وليس مدادا، وليس رسما، ولكن كتاب الله يرسله الله لخلقه إنما هو رقائق من رحمته من أمر روحه، نورا يقذف في قلوب عباده يرون في عبوديتهم لله كتابا لأنفسهم من الله، يقلبون صفحاته بالنظر والتأمل في أنفسهم، ويرون ما في الكون إلى ما في أنفسهم، ويرون ما في أنفسهم إلى ما في الكون، فيقلبون الأبصار في آيات الله في أنفسهم وفي الآفاق حتى يسعدهم الله، فيكشف لهم أنه المتدين فيهم لهم، وأنه الظاهر في قيامهم لأنفسهم،

والظاهر فيما يحيط بهم من الكون، ومن الوجود من أنفسهم، وأنه المتحدث إليهم فيما يبرز من آياته لهم في أنفسهم، وفيما حولهم، وفيما يبدو عن إدراك عن غيرهم هو من أمرهم، أو من أمر الناس، أو من أمر الدنيا.

إن هذا هو حديث الله الدائم، يتحدث به إلى مستمع رفع عن بصره وسمعه الغشاوة، فشهد وتبين له أنه الحق، كما تبين له أنه بالحق ينظر نفسه في الحق محيطا به قائما عليه، قائما فيه، مقيما له في حق من حقه، ووصف من وصفه، واسم من اسمه وعَلَم من عَلَمِه، وعِلْم من عِلْمه، منزلا سكينته على قلبه، بما ينزل على قلبه من طمأنينة وتبين للحق.. وكيف يصبر الخلق على ما لا يحيطون به خبرا ثم يقولون نحن معتقدون أو مدركون لحقائق الله، وهم في يأس منها في جلباب من زعم لها أو وهم عنها!

(إن الله يبحث عن عبده كما يبحث العبد عن ربه)[1]

وإن الله في بحثه عن عبده إنما يفعل ذلك بسفور عباده في عوالم خلقه بمحمديهم من عباده، في واسع خلقه من ظالمي أنفسهم من نبات الأرض من الناس.. وإنه إذا أسفر ابن عبد الله وآدم الله في الناس فتبين لهم محمد من بينهم قائما بينهم، باحثا عمن يستهديه ما استهداه، وعن طالب لما طلب من الله، كان ذلك طلبا من الله لخلقه.. وهذا معنى أن الله يبحث أو أن الرب يبحث عن عبده.

وإن الناس إذ يتذاكرون في الحقائق، ويتعلمون أو يعلمون أو يتعالمون، إنهم في حال من البحث عن ربهم. فإن صدق فعلهم، وخلصت نواياهم، واشتدت حميتهم وهمتهم، استجاب الله لهم، فكشف لهم عن ابن عبد الله من بينهم، وكشف لهم عن المحمد من قومهم.

إن ظهور ابن عبد الله إنما هو إجابة من الله لطالبي الله لأن الله من وراء الكل محيط، وإن الكل لله وجه باقٍ به الحق في تجليه، أو متخل عنه الحق بجفوة صاحبه لمعانيه. أما الحق وجها مدركا مقاربا للوجوه لهو في ابن عبد الله مسفرا مخلِّصا، موضوعا عنه الوزر، محفوظا فيه الأمر. وإن عبد الله لهو غيبه من معاني كلمة الله مشهرة في خلقه بابن عبد الله، وهو كتاب الله ورحمته مهداة لطالبي الله. وإن شرائع الله ما قامت وما استقامت إلا بمعاني تدور حول كلمة الله، تدعو إلى كلمات الله، تتجمع من خلق الله تحت لواء من كلمة، هي للناس جماع في ابن عبد الله، ظاهر المحمد من صفاتهم، والمحمد من ذواتهم.

وإن الإسلام كدين بدأه آدم باستسلامه وإسلامه، وحقق رحمة الله فيه بتوبته ومسالمته، وهيأ لأبنائه إلى الله مسلكا برجعته وسلامته، فكان علما على الإسلام لله، وعلما على التسليم لأمر الله، وعلما على المسالمة مع الله، وعلما على البراءة والسلام من الله، فكان علما على الحق لأبنائه، وكان

وعدا من الله لهؤلاء الأبناء أنه مصطفيهم على مثال مما كان لأبيهم، وأنه مجتبيهم على مثال من اجتبائه، وأنه مقربهم على مثال من تقريبه، وأنه متجل به لهم، ومسجدهم له، ومقربهم وجامعهم عليه، وأنه تعالى في كماله عن المثال، وعن النوال، وعن المشاركة، والشريك.

جعل الله من آدم جديد ربوبيته لجديد خلقه منه. وكون آدم من صنعه وإرادته في صنعه لنفسه بإرادته. خلق به الزمن ختما وبدءا. أعطاه الحياة الأبدية فتواجدت في حياته معاني الحياة الأزلية. اصطفاه من أرضي وجوده لعلوي وجوده.

جمعته يد قدرته من تراب الأرض من نبات البشرية من شجرة سبقه في وحدة من تواجد. تخلت مفرداته عن مبانيها ومعانيها شوقا إلى الفناء في خالقها وبانيها، فأوجد شوقها لمعناها جديدا لأصلها ومبناها، فقامت فيه ذراته وقامت به معانيه وصفاته.

علمه الأسماء كلها، فأعلمها وعلمها وكان بمعانيه علمها، وبمبانيه أعلامها، وبذاته كتابها وجماعها. فهو العبد الأول.. والعالم الأول.. والكون الأول.. والاسم الأول.. والوجه الأول.. والحق الأول.. والأبد الأول.. والأزل الأول.. والكتاب الأول.. والدين الأول.. والإسلام الأول.. في قيام لوجود مطلق بلا حد وبلا بدء هو فيه متواجد على ما تواجد في ظل قانون لهذا الوجود، يحكمه في تواجده ويحكمه هو بتواجده. هو وحده الذي يعرف هذا الوجود ويرتبط به، ويعمل فيه، ويخضع في تواجداته لقوانينه، ويتحكم بتواجده في قوانينه. إنه العبد والمعبود في هذا الوجود. إنه العالم والمعلوم فيه. إنه سبق أن تواجد فيه بلا بدء، وإنه متواجد فيه بلا عد. وسيبقى متواجدا فيه بلا حد.

إنه الكائن الأزلي المنزه عن الجدة والقدم في هذا الوجود المطلق. قديمه من الإنسان ربه وهو في معناه جديد إنسانه أو جديد ربه، من معاني الإنسان الذي ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره به. وبهذا قال الله على لسان المؤمنين به في كتاب إحاطته {وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا}[٢] على لسان عباد من عباده نطقوا بالحق كما علمهم وكما أعلمهم.

وإن الله جعل من ابن عبد الله، وإن الله جعل من ابن آدم في محمد مثالا يحتذى لأبناء آدم، ومن يطلبون أن يكونوا أبناء لعبد الله، حتى يضافوا إلى قديم إنسانهم وَجِّد ربهم في أبيهم من إنسانية آدم، أبناء له يُجدد فيهم معانيه من الخلق، وتتهيأ بهم له معانيه من الحق، متكاثرا بينهم، متكاثرا لهم، متكاثرا بهم، متكاثرا منهم.

هذا أمر من دين الله هو جماعه، وحول هذا يدور الدين فهو عماده. إن الدين لا يقوم حول إقامة مناسك من ركوع وسجود، فإنها حركات رمزية لمقام من الأدب ومسلك من الاتجاه، تتكيف في

أمم على ما كيفت لأهلها، وعلى ما تكيفت في نفوسهم بآدابهم مع الله. لا فرق بين منهاج ومنهاج، أو شرعة وشرعة فيما يتعلق بتفاضل أو بأثر من قيام الحق في منتهج لها. ولكن الذي عليه يدور المقام والذي به يصدق الحال هو حسن الفهم عن الحقيقة تُطلب، وحسن الأدب مع الله يُنشد به يُتبين أمره، وتكشف حجب الظلمة عن النفس لتبيان نوره مشرقا على أرض القلوب من القيام من ذوات الخلق من نبات الأرض من الناس.

إن الناس يتحدثون عن منتظر ينتظرونه من أمر الله. وإن الناس ليرجفون في القول بوهم العلم ويشطون في اليأس باسم الأماني، وينزلقون في الإدراك باسم الهدى لأنهم لا يريدون أن يكونوا على بصيرة فيما بين يديهم من أمر من أمر الله، وكتاب من كتاب الله، وكلام من كلام الله، وهدى من هدى الله، قامت به كلمات الله.

متى حرم الله الأرض من ابن عبد الله؟ متى حرم الله الأرض من محمد في الخلق بينهم يعرف بمحامد؟! ليس محمدا الذي تعرفون أو الذي تدعون أول محمد في دين الله، ولا أول رسول في شرائع الله. فإنه ليس بدعا من الرسل ولا جديدا من الأمر. وإنه ما جاء إلا بما جاء في صحف أولى من صحف مثال له من إبراهيم ومثال له من موسى. وإن إبراهيم وموسى ما كانوا في الناس بدعا من أمر، فقد قامت من قبلهم رسائل، وقام من قبلهم ابن لعبد الله، وقام من قبلهم محمد في الخلق للخلق من الخلق، على سبق لا يدرك بدؤه، ولا يحاط ببدايته {منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك}[٣]. وإذا كنا قد قصصنا أو لم نقصص فإنما قصصنا أو لم نقصص ممن اصطفى الله، واجتبى الله من أبناء آدم.

وإني إذ أعلمك الكتاب والبيان، هل تعلم لله سميا؟ هل تعلم لله بدءا؟ هل تعلم في الحق جديدا جد عليه لم يكن على أزل؟ هل تعلم أن الله قاطع عن الناس أمرا أظهره، أو ممسك عن الناس رحمة بذرها، أو لواء نشره، أو خيرا بسطه، أو بساطا وضعه، أو بيتا أقامه؟ وهل تعلم أن الله وقد حققك أنك إلى زوال، أو أنك على غير مثال، أو أن أمرك في الناس لا ينال؟ إنك لتعلم. قال أي ربي. ولكن الناس لا يعلمون قدري، ولا يقدرونك على ما يليق بهم، أن يقدروك به. قال الزم ما علمت واستقم على ما أمرت. وإذا كنت باخعا نفسك على آثارهم فإني متجاوز عن فعلك لقصور إدراكك في حكمتي. لو شئت لهديت الناس جميعا. ولكني على ما تصبو إليه نفسك مجيبك. فإني ما أرسلتك إلا رحمة للعالمين. وإن لك في النهار سبحا طويلا. حتى أهل الظلام لا أحرمهم من رحمتي معك ولعلي باعثك بينهم مقاما محمودا يوما من الأيام، وفق إرادتي وعند مرادي ووفق حكمتي، يوما لا تعلمه أنت ولا يعلمه من في السموات ومن في الأرض. ولكن الناس يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد

خلت من قبلهم المثلات. لمَ لا يستعجلونك رحمة من الله ولا يستعجلونك ببطشة من الله وهو شديد المحال؟! وهو شديد البطش {إن بطش ربك لشديد}[٤].. {ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم}[٥]، ولكان لزاما. ولكن {قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين}[٦] فهو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٧] {ومن الليل فتهجد به نافلة لك}[٨]. ومن هذه النفوس المظلمة أفض عليها عطاء غير مجذوذ، وأفض عليها مما أفاض الله على قلبك من نوره حتى تستنير نافلة لك، لأني معطيك من قبل مجيئك صحبك، كما أني فرضت عليك أن تصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وأبرزت لك ما هو ملازم من حقائق سوف تستوفي بها وظيفتك في دارك، يبقون على بقائك، ويعملون بعملك، ويسيرون على سنتك، ويهدون بهديك، ويهتدون على هديك، من آل بيت لك من ذريتك ومن أصحابك ومن محبيك ومن محبوبيك ومن متابعيك. أصطفيهم وأجتبيهم على مثال من اصطفائي لك حتى أتنزه في الخلق، وحتى يتكشف للناس في أمور دينهم أنني المنفرد بعظمتي والمنفرد بكبريائي. وأني مهما برزت بحقائقي في عبد من عبادي فإني لذلك فاعل، وعلى مثال من قديم فعلت، وسأفعل وسأفعل ...

فنزه الله، واطلب الله طلبا دائما مستمرا في دنياك، واعلم أن طلبك لله هو سعادتك وهو نعمتك، وأن هذا الطلب إذا انقطع عنك مداومته والالتجاء إلى الحقيقة طالبا فقد انقطعت صلتي بك. ومن انقطعت صلتي به فقد هوى، فقد توقف وانحدر. فالكون لا يقف والكون مترق والكون سائر والكون بالحق يسير.

وإن الله المتعالي والمتصف بالتعالي ما تعالى ولكنه تعالى بتعالي الكون وتطهيره من أغيان نفسه بإفاضة الخير عليه، وإفاضة الحكمة يقوم بها تظهر فيه لأهلها. فإن المتعالي هم خلق الله بترقيهم إلى حقائق الله في معارج الرقي، معراجا بعد معراج، ومرتقى بعد مرتقى إلى ما شاء الله وبلا نهاية ...

فإذا كان الناس بالتواء أنفسهم ينتظرون منتظرا من الله فإنهم ينتظرون بطشة من بطشات الله. وإنهم ليستعجلون السيئة قبل الحسنة. وإنهم في هذا قد خلت من قبلهم المثلات. فهلا اتعظوا بقديم؟ وهلا ساروا في الأرض فنظروا وتبصروا آثار من قبلهم من الناس، وإلى أين ذهبوا، وماذا أبقوا، وماذا تركوا؟

إن هذا الأمر لا يُطلب يا إخواني. ولكن الذي يُطلب أن نسأل الله أن يكشف لنا من بيننا لأنفسنا عطاء من الله ومِنَّة، مَن منا وأين فينا ابن عبد الله؟ فإنه لا يغيب عن الأرض كما وعد الله. وإن كان في خفائه لرحمة. وإن في احتجابه لمنة. فإنه في حال احتجابه متكاثر، وفي حال تعارفه متناثر، وفي حال الوصلة به متجدد، وفي حال القيام معه قياما بالحق متعدد.

أما إن أسفر، فهو وحده والكل عبده.. فهو ابن عبد الله. وهو عبد الله. وهو وحده عبد الله. أما الناس! فهم له عباد. عبودية لربه. فهو معاني حقه.

فماذا يطلب الناس؟ يطلبون عدم أنفسهم، ويطلبون خيبة الرجاء لهم، ويطلبون القطيعة لهم من الأمل، ويطلبون القضاء يحل بأنفسهم ويحل بديارهم. ألم يقل لهم عيسى في إنجيله (يوم يأتي ابن الإنسان ترتج عليكم أنفسكم وأموركم ودنياكم)[٩] ألم يقل لهم كتاب الله {وإنه لعلم للساعة}[١٠]؟ وإنها لثقيلة وقد {ثقلت في السموات والأرض}[١١]، فماذا يطلب الناس؟ يطلبون الجهل والظلمة. وإن الحق لمشرق في أنفسهم بنوره، ومقاربهم في حال صدقهم بوحدانية قيامه. وإنه لممسك بنواصيهم بواحدية صفاته. وإنه لمتسلط عليهم، منفرد بأحدية وجوده. وإنه لكريم لطيف رحيم بغيب أمره على عقولهم.

إن الله ما كان ليعذبهم وابن عبد الله فيهم ومحمد فيهم. وما كان ليعذبهم وهم يستغفرون من شرور أنفسهم، ومن زلات شهواتهم.

إن الله بهم لراحم، وإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، وإن الله بالناس لغفور رحيم. إن الله ليس للناس بظالم. ولكنهم هم الذين يظلمون أنفسهم بأنفسهم، بجهلهم بأقدار أنفسهم تافهة في قطيعة، عظيمة كبيرة في وصلة.

وإنهم لموهنون الوصلة ومغرقون في القطيعة باسم الاتصال والوصلة. رسموا لأنفسهم دنيا من وحي أنفسهم، وكتبوا لأنفسهم كتبا من إيحاء أنفسهم، ومن إيحاء شياطينهم -شياطين أنفسهم شياطين ظلامهم - وما خفي منهم من أمرهم عنهم، وشياطين ذواتهم من شيطان يجري في مجاري الدم من ذواتهم، ينكرونه مشهودا لهم في أحاسيسهم إن تبصروا وإن أدركوا. وإنه لممتزج بهم في هويات أنفسهم.

ليس هناك شيطان يوهم. وليس هناك إبليس يوصف. وليس هناك رحمن يعرف. وليس هناك إله يغيب. وليس هناك رب غافل. وليس هناك حكيم يستغفل. وليس هناك قادرٌ يستضعف. إنما هي قضايا أنفسكم في أنفسكم لأنفسكم. فارجعوا البصر إلى أنفسكم متأملين، وتذاكروا الله في أنفسكم مكبرين، حتى يستقيم لكم في الله دين، وحتى يرفع ويوضع عنكم في الله وزر، ويستقيم لكم فيه أمر، يتهيأ لكم به مستقبل فيه نصيب من حياة وأجر من جزاء. وإن الله لغفور وإنه فعلا لغافر.

فلا تتخيلوا الدين خيالا {وإنه لحق مثل ما أنكم تنطقون}[١٢]، ومثلما أنكم توجدون، ومثلما أنكم تدبرون، ومثلما أنكم تأكلون، ومثلما أنكم تناكحون. ففي كل فعل من أفعالكم لله فيه لكم آية، وله منه فيكم بكم غاية، منتهية إلى إقامة حق مذهبة لباطل. ولكن ما يسعد به الإنسان هو استعجال الخير لنفسه

بالاستقامة على أمر الله، وعلى مأمور من دينه وشريعته، وعلى منهج له مستقيم، يدركه ميسرا عذبا سهلا قريبا غير ممتنع. فـ (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل)[١٣]. والمرء إن لم يبدأ بنفسه فلا خير فيه لغيره. وإن الضال في قوله وفعله ما هو إلا مضل. وإن المهدي في قوله وفعله ما هو إلا الهادي. فتهادوا بينكم بتواصي أنفسكم وعقولكم بالقيام في الحق، على ما رسمته لكم شريعة، وعلى ما قومته لكم طريقة، وعلى ما أظهر الله بينكم من سبق، من مستقيمين لخلقه أبناء لعباده، أو أبناء لعبده ووجوها لحقيقة، أو وجوها لحقائق من حقائق الله على تكاثرها، ومن وجوه لوصلة بحقه الغيبي على انفراده، قام فيه أئمة من بينكم ورجال من بينكم هدوا بهدي رسول الله. وقاموا فيما قام فيه رسول الله. وحققوا لأنفسهم كلا أو بعضا مما حقق الله لرسول الله. وانتفع قوم معهم بما انتفع به صحبة من أصحاب رسول الله. كل وفق همته ووفق عطائه. فلا تواكلوا فإن الله لا يحب المتواكلين. ولكن اعملوا وتوكلوا، ولا تهنوا ولا تضعفوا. ولكن اعملوا وإلى الله أنيبوا فإن الله يحب المنيبين، ولكنه لا يحب الخاملين، ولا يحب المتجبرين، ولا المستضعفين. وإن التجبر ليس معناه الغلبة والفتوة ولكن طغيان النفس على صاحبها، والاستضعاف إنما هو ضعف الإنسان أمام نفسه، وأمام شهواته. وإن القوة والفتوة إنما هي في استقامة الإنسان على أمر الله. {خذ الكتاب بقوة}[١٤]، والآخذ كتابه بيمينه والآخذ مسلكه باجتهاده منيبا إلى الله، مستعينا بالله، متوكلا على الله، مستمدا من الله، مؤمنا بالله، هو من أهل الفلاح. فإن الله قريب ما قاربتموه. وإن الله بعيد ما باعدتموه، فقربوه بسؤالكم، وقربوه بتوكلكم، وقربوه بإيمانكم، واسألوه يعطيكم.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. اللهم اجعل منا مفاتيح للخير مغاليق للشر، ولا تجعل منا مفاتيح للشر مغاليق للخير. اللهم ألف بين قلوبنا. اللهم أعلِ كلمة الحق منك فينا لنا. وأعلِ كلمة الحق في خلقك بيننا. واجمع قلوبنا ووحد بيننا. واجعل منا عبدا واحدا فيك. اللهم أعلِ به كلمتك. وانشر وحقق لمحمد به في أمته سنتك. وحقق في الناس منك للناس بهذا الجمع غايته من رحمتك. وأنزل اللهم على قلوبنا سكينتك. واجعل منا لمحمد منك سكنا له من سكينتك. إنك أنت القريب المجيب، وأنت الرقيب الشهيد، وأنت الواحد والوحيد.

اللهم كن لنا في الكبير والصغير من شأننا. اللهم خذ بيدنا. اللهم أنر الطريق أمامنا. اللهم ثبت على الحق أقدامنا. اللهم إنك أنت السلام فارزقنا السلام، وجنبنا الفرقة والخصام. وسلمنا واجعلنا معك في سلام، ومع خلقك في وئام، ومع أنفسنا في احتكام، وارزق الناس منك السكينة والسلام، وارزق الأرض منك الأمن والسلام، وجنبنا الفرقة والخصام. اللهـــم إنك أنت السميع المجيب.

أضواء على الطريق

(ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها..)[١٥]. (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان)[١٦] (حديث الحال عن معنى الله)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢ سورة الجن - ٣

٣ سورة غافر - ٧٨

٤ سورة البروج - ١٢

٥ سورة يونس - ١٩

٦ سورة يونس- ١٠٢

٧ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩

٨ سورة الإسراء - ٧٩

٩ إشارة إلى الآية: "النَّاسُ يُغْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ خَوْفٍ وَانْتِظَارِ مَا يَأْتِي عَلَى الْمَسْكُونَةِ، لِأَنَّ قُوَّاتِ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي سَحَابَةٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ." لوقا ٢١:٢٦-٢٧

١٠ سورة الزخرف - ٦١

١١ سورة الأعراف - ١٨٧

١٢ سورة الذاريات-٢٣

١٣ حديث شريف: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

١٤ سورة مريم -١٢

١٥ حديث قدسي: "إِنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ." أخرجه البخاري

١٦ مقولة صوفية.